

هَجِّجِ الْبَلَاغَةَ... مَنْ؟

بِقِطْعَةٍ
مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ حَسَنِ النَّبِيِّ

دار الانوار للمطبوعات - بغداد - شارع المتنبي

وافقت الدار الوطنية على توزيعه
في الاسواق

* * *

وافقت رقابة المطبوعات على طبعه
بكتابها المرقم ٧٤٤ والمؤرخ
١٩٧٧/١٠/١١

* * *

السعر ١٥٠ فلساً

مطبعة اوفسيت الميناء - بغداد



www.aljawadain.org

هتج البلاغ... لمن؟

هُجُجُ الْبَلَاغِ... مِنْ لَيْلٍ؟

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

- الطبعة الاولى - بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
« مستل من مجلة البلاغ »
- الطبعة الثانية - بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- الطبعة الثالثة - بغداد ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
- الطبعة الرابعة - بغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه
سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .



في أوائل عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م طلبت مني مجلة «البلاغ»
العراقية كتابة بحث عن نهج البلاغة ومدى صحة القول بنسبته
لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، جوابا على سؤال
وردها من أحد قرائها بهذا الشأن .

وحررت يومذاك مقالا موسما بعنوان « نهج البلاغة .. لمن »
استعرضت فيه كل ما قيل من شبهات وشكوك في نسبة هذا
الكتاب لعلي (ع)؛ ثم اجبت عن كل شبهة شبهة بما صح علمه وثبت امره،
مع مراعاة الاختصار والايجاز ، ملاحظة للمجلة وحجمها وحدود
ما ينشر فيها من بحوث (١) .

ثم طلعت علينا مجلة الكاتب المصرية في عدد شهر ايار (مايو)
١٩٧٥م تحمل مقالا بقلم الاستاذ محمود محمد شاكر حمل فيه
حملة شعواء على نهج البلاغة وعلى كل قائل بكونه من كلام علي

(١) مجلة البلاغ/العدد الثالث/السنة الخامسة/١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥

سابقين - وان هناك هدفا (كبيرا !) يهدف اليه هؤلاء السادة !
من وراء هذه الحملة المدبرة .

فبعد (مايو) مجلة الكاتب ومقال محمود محمد شاعر ، يطل
علينا (ديسمبر) مجلة الهلال ومقال للدكتور شفيق السيد ، ثم
(شباط) مجلة العربي ومقال للدكتور محمد الدسوقي . ولو
انتظرنا سنة ثانية لرأينا شهورا اخرى ومجلات جديدة تدخل القائمة
لتحتل فيها « مكانا ما » من مواقع الهجوم و « رقما ما » من
ارقام الحملات .

فلماذا كل ذلك ؟

وما هي « الاخطار » الفكرية التي يحملها نهج البلاغة
لتشن عليه الحرب بهذا الشكل المتوالي المنظم ؟!

وهل يتوقف بناء « الثقافة الجديدة ! » التي يدعو اليها
اخواننا الاعزاء في مصر والكويت على هدم نهج البلاغة وتحطيمه ؟!

وهل يشكل نهج البلاغة سدا يعوق عن الدعوة القائمة هناك
في ضرورة « الانفتاح » على « الافكار ! » المعاصرة فلا يجد الدعاة
بدا من تحطيم هذا السد العائق والعقبة المانعة ؟!

لا ادري ! ولا المنجم يدري !

* * *

والشيء المضحك المبكي في كل ذلك ان يكون من جملة الاسلحة
الجديدة في هذه المعركة « شيء » لم يخطر ببال احد ولم يدرك في

عليه السلام . وقد اثارت تلك الحملة من الاشفاق على الكاتب
ومن الابتسامة على شفاه المحققين اكثر مما اثارت من استغراب
واستهجان . وبادرت الى كتابة رد مفصل على تلك الاقاول وابدته
بالبريد المسجل المضمون الى ادارة المجلة ، ولكنه - فيما أعلم -
لم ينشر ولم يشر اليه ، وربما ارادت المجلة بهذا الاهمال للرد
ان تؤكد موضوعيتها ومنهجيتها في عهدها الجديد ! .

وفي صيف ذلك العام نفسه تجولت في عدة اقطار عربية ،
والتقيت خلال تلك الجولة بعديد من الاعلام والمثقفين والباحثين
وكان للترات من احاديثنا حصة الاسد واكثر النصيب - ونهج
البلاغة قمة التراث وبرز معالمة - ، ولست من هؤلاء الافاضل
اصرا على نشر بحث في سند « النهج » يبدد الشكوك ويضع
النقاط على الحروف - على حد تعبير الكتاب المعاصرين - ، فلما
انتهى بي المطاف الى بيروت - برحمها الله ! - اعدت نشر ذلك
البحث في كراس مستقل زودت به هؤلاء الاصدقاء تعبيرا عن
شكري لهم ونزولي عند رغبتهم العزيزة الغالية .

* * *

واستمرت المطابع العربية تدور فتلقى في كل يوم كميات هائلة
من الكتب والنشرات والصحف ، ولا بد للمتتبع من السير وراء تلك
المطابع ليقرا شيئا من ذلك الزخم العظيم في الانتاج ؛ بعد ان اصبح
الوقوف على الكل خارج طاقة الانسان .

وحصلت عندي القناعة التامة خلال شهور لا تبلغ السنة ان هناك
حملة عنيفة مدبرة على نهج البلاغة - وان لم تكن عن اتفاق وارتباط

خلد انسان ، ولعل هذا هو معنى الجدة والابتكار والاتيان بما لم تستطعه الاوائل ! .

ان محمود محمد شاكر يرى من جملة ادلة وضع نهج البلاغة وتلفيقه انه « كلام كثير الفثاة » (١) .

وعندما يقول هذا الرجل عن نهج البلاغة انه « كلام كثير الفثاة » نجد - مقتنعين - ان الرجل قد شهر سلاحا جديدا في المعركة لم يشهره غيره ؛ ولكنه - وبالاسف - سلاح فاسد يرتد الى الوراء كما ارتدت الاسلحة الفاسدة في عهد الملك السيء الصيت فاروق !! .

واذا كان في المشككين القدامى من نسب النهج للشريف الرضي فانما دفعه الى ذلك كون الرضي ادبيا كبيرا اشتهر بسمو التعبير وفصاحة التركيب وبداوة اللفظ .

اما ان يكون في النهج « كلام كثير الفثاة » فذلك ما لم يقله انسان من الناس بما فيهم المشككون انفسهم . وحبنا ان نقرا للدكتور شفيح السيد - اخير المشككين وليس آخرهم - ما ذكر في هذا الصدد اذ قال « ... فضلا عما اشتهر به الامام من بلاغة القول ورصانة العبارة، على نحو لا تستبعد معه نسبة تلك النصوص اليه من حيث تركيبها اللغوي وتشكيلها البياني » (٢) .

* * *

(١) مجلة الكاتب المصرية/العدد ١٧٠/مايو ١٩٧٥م/ص ٣٠-٣١.

(٢) مجلة الهلال / العدد ١٢ / السنة ٨٣ / ص ٩٥ .

ثم كان السلاح الثاني من تلك الاسلحة الجديدة المشهورة في هذا الميدان : ذلك التأكيد على الربط بين « الفلو » وبين القول بصحة نسبة نهج البلاغة لعلي عليه السلام .

ولنقرا - معا هذه الجمل لتتضح لنا معالم هذا السلاح الجديد: يقول الدكتور شفيح السيد :

« ان بعضاً منهم (اي الشيعة) غالى في تقديره له (علي) حتى رفعه الى مستوى من اصطفاهم الله بالوحي . ومن هؤلاء الرضي نفسه في مقدمته للكتاب ، فقد علل سبقه - رضي الله عنه - في مضمار البيان وتفوقه على كل من عداه من الخطباء والبلغاء ؛ بان كلامه - عليه السلام - «الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي (١) » .

وليس لنا من تعليق على هذا الكلام اذا كان استاذ اللغة العربية وآدابها لا يعرف معنى « مسحة » و « عبقة » ، ولا يرى لها مدلولاً الا « الفلو » والاصطفاء بالوحي ! .

* * *

واذا استثنينا هذين «السلاحين» الجديدين فان كل ما قيل اخيراً انما هو تكرار لما قاله الاولون وان اختلفت الصياغة وتطورت اساليب التعبير .

(١) المصدر نفسه : ٩٥ .

وسيجد القارئ الكريم في تضاعيف البحث تلك الشبهات
والشكوك بالتفصيل .

أحالت علي مجلة « البلاغ » الزاهرة رسالة وردتها من
أحد قرائها يسأل فيها عن مدى صحة الكلام الذي يردده بعض
الناس ، في التشكيك بنسبة « نهج البلاغة » لامير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام ، وفي اتهام الشريف الرضي بوضع
تلك الرسائل والخطب .

وتلبية لطلب « البلاغ » أضع هذه الصفحات امام صاحب
السؤال المشار اليه وامام جميع القراء الاعزاء بأمل ان تكون
- على اختصارها - وافية بالغرض ومؤدية لحق البحث ، والله
ولي التوفيق .

ان كتاب « نهج البلاغة » - كما يعلم الباحثون المدققون -
قد جمعه الشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٠٦ هـ
واودع فيه ما اختاره من كلام امير المؤمنين عليه السلام ، وقد
اتم جمعه في رجب سنة اربعمائة للهجرة كما نص هو على ذلك
في آخر الكتاب . وهم جورجى زيدان - كمادته في اوهامه
واغاليطه - فنسب جمع النهج للشريف المرتضى علي بن
الحسين (١) . وانه لغلط فاحش لا يفتقر ربما تابع فيه - بغير
هدى وثبت - استاذه بروكلمان الذي قال : « والصحيح انه من
جمع الشريف المرتضى » (٢) .

- (١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١٨١/١ و ٢٨٨/٢ .
(٢) تاريخ الادب العربي - الترجمة العربية - : ٦٤/٢ .

وكل امل ان يكون لهذا الكتيب الصغير ما يكون لكوة النور
من مجال ودور ، احقاقا للحق ، وكشفاً للغطاء عن الحقيقة ،
وازالة لظلام عهود العصبية والهوى المقيت . فان نجحت في ذلك
فما أسعد الحظ ، وان لم انجح فحسبي انى قد حاولت (والحمد
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) .

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

محمد حسن آل ياسين

العراق - بغداد - الكاظمية :

١٠/ رجب / ١٣٩٦ هـ

ولو رجع بروكلمان وجورجي زيدان ومن شايعهما وتابعهما الى كتابي الشريف الرضي : حقائق التأويل والمجازات النبوية - وهما مطبوعان ومعروفان - لوقفنا على تكرار الاشارة من الرضي الى كونه هو الجامع لكتاب النهج (١) .

ومع ظني الراجع بان هذه الحقيقة لم تكن خافية على الاستاذ محمود محمد شاكر - كما خفيت على سلفيه السابقين - فانه حاول ايهام القارئ بما طرحه من تشكيك في كون الجامع للنهج هو الرضي او المرتضى (٢) .

وحظي هذا الكتاب من الاهمية والشأن بما لم يحظ به كتاب غيره على مر العصور ، واصبح له من الشروح ما بلغ (٧٥) شرحا في حساب بعض المؤلفين (٣) و (١٠١) من الشروح في حساب مؤلف آخر (٤) .

وليس غريبا ان يكون للنهج كل هذه الاهمية وهذا الشأن ، فقد كان علي « امام الفصحاء وسيد البلغاء ، وفي كلامه قيل : دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين . ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة » كما يروي عز الدين بن ابي الحديد .

ويقول لعبد الحميد بن يحيى الكاتب : « حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلح ففاضت ثم فاضت » .

ويقول ابن نباتة : « حفظت من الخطابة كنزا لا يزيد الانفاق الا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب » .

« ولما قال محفن بن ابي محفن لمعاوية : جئتك من عند اعيان الناس [يعني عليا] قال له :

ويحك كيف يكون اعيان الناس ! فوالله ما من الفصاحة لقريش غيره » (١) .

ويقول الشيخ محمد عبده : « وليس في اهل هذه اللغة الا قائل بان كلام الامام علي بن ابي طالب هو اشرف الكلام وابلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه ، واغزره مادة وارفعه اسلوبا واجمعه لجلال المعاني » (٢) .

- (١) يراجع فيما سبق : شرح نهج البلاغة : ٢٤/١ - ٢٥ .
(٢) نهج البلاغة - تعليق محمد عبده : ٥/١ .

(١) حقائق التأويل : ١٦٧ والمجازات النبوية : ٤٠ و ٦٠ و ١٥٢ و ١٨٩ و ٢٨٥ .

ومن مقالات الدكتور شوقي ضيف في كتابه تاريخ الادب العربي - العصر الاسلامي : ص ١٢٨ : انه اعتبر اعتراف الشريف الرضي بجمعه للنهج دليلا على وضعه اياه ! وما ادري متى اصبح الجمع وضعاً !!؟ .

(٢) مجلة الكاتب / العدد ١٧٠ / ص ٣٠ .

(٣) الفدير للاميني : ١٦٤/٤ - ١٦٩ .

(٤) مصادر نهج البلاغة للحسيني : ٢٤٨/١ - ٣١٣ . وقال الدكتور شفيح السيد ان معظم شراح نهج البلاغة هم من الشيعة (الهلل / العدد ١٢ / السنة ٨٣ / ص ٩٦) ، ثم سمي عددا من هؤلاء الشراح وكان معظمهم من غير الشيعة !!

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود :

« ونجول بانظارنا في هذه المختارات من اقوال الامام علي التي اختارها الشريف الرضي (١٧٠م - ١٠١٦م) واطلق عليها نهج البلاغة ؛ لنقف ذاهلين امام روعة العبارة وعمق المعنى ، فاذا حاولنا ان نصنف هذه الاقوال تحت رؤوس عامة تجميعها ؛ وجدناها تدور - على الاغلب - حول موضوعات رئيسية ثلاثة ، هي نفسها الموضوعات الرئيسية التي ترد اليها محاولات الفلاسفة قديمهم وحديثهم على السواء ، الا وهي : الله والعالم والانسان . واذن فالرجل - وان لم يتعمدها - فيلسوف بمادته ، وان خالف الفلاسفة في ان هؤلاء قد غلب عليهم ان يقيموا لفكرتهم نسقا يحتويها على صورة مبدا ونتائجه ، واما هو فقد نشر القول نثرا في دواعيه وظروفه « (١) .

ولقد عز على بعض « الناس » ! من المتقدمين ان يكون نهج البلاغة انموذجا من كلام علي وصورة مصغرة من منهجه العام في الدين والسياسة والادارة العامة للدولة مما اراد تطبيقه عندما آلت الخلافة اليه ، فتوجهوا بسهام الشك نحوه زاعمين « انه ليس من كلام علي ، وانما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه » (٢) .

(١) المعقول واللامعقول في التراث العربي : ٣٠ .

(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان : ٣/٣ ، وقد تابعه على زعمه هذا كل من الصفدي في الوافي بالوفيات : ٣٧٥/٢ والياضي في

مرآة الجنان : ٥٥/٣ وابن حجر في لسان الميزان ٢٢٣/٤ .

وجاء المتأخرون فسار « بعضهم » على طريق ذلك « البعض » السالف الذكر فرددوا تلك الشبهات وكرروا تلك الشكوك ، وكان من جملتهم جورجى زيدان الذي يقول : « وان كنا نرى ان كثيرا من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره ! » (١) .

وكذلك المسيو ديمومبين الذي اراد - كما يروي الدكتور زكي مبارك - « ان يفض من قيمة ما نسب الى علي بن ابي طالب من خطب ورسائل ، استنادا الى ما شاع منذ ازمان من ان الشريف الرضي هو واضع نهج البلاغة » (٢) .

ثم سار على طريقهما الاستاذ محمود محمد شاكر الذي ساءه اعجاب الدكتور زكي نجيب محمود بشخصية علي بن ابي طالب اعتمادا على اقواله المودعة في نهج البلاغة وحز في نفسه قول الدكتور زكي نجيب : « لننظر كم اجتمع في هذا الرجل من ادب وحكمة وفروسية وسياسة » ، فثارت ثائره واندفع يعلق على ذلك تعليقا مفصلا مشحونا بالجمعمة والطنين قائلا : « الم يكن

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٨٨/٢ .

وتناقض الدكتور شوقي ضيف تناقضا عجيبا في هذا الموضوع وفي صفحة واحدة من كتابه ص ١٢٨ ، فذهب اولا الى ان عليا قد خلف خطبا كثيرة ، ثم ذهب ثانيا الى ان النهج من وضع الشريف الرضي ، ثم رجح - وفي ثالثة الاتافي - ان الوضع على علي اقدم من عصر الشريف بل من عصر المسعودي !!! فانظر وتأمل ..

(٢) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : ٦٩/١ .

ولكنه لم يذكرها أبدا أبدا !!

ومع ذلك فقد تفضل فزادنا علما فقال :

« فكتاب كهذا الكتاب ، يدل صريح العقل والنظر وصريح النقل والتثبت على انه كتاب قريب النسب كان غير لائق بالدكتور زكي ان يتسرع الى التقاطه دون ان يفحصه ويتحرى عنه فيجعل ما فيه من كلام كثير الفثانة - وقد كتب اكثره بعد دهور متطاولة - ممثلا لعلي بن ابي طالب وممثلا ايضا للقرن الاول من الهجرة » (١) .

وهكذا تعاون هؤلاء جميعا - بلا سابق معرفة بينهم - في محاولة هدم هذا الصرح الفكري العظيم الذي يمثله « النهج » ابلغ تمثيل .

وتصدى عدد من الكتاب والادباء والباحثين الى رد هذه الفرية واقامة البرهان على زيف هذه المزاعم وكذب هذه الادعاءات.

وكان في طبيعة من تصدى لتفنيد هذه الشبهات اديب عصره عز الدين بن ابي الحديد في شرحه للنهج ، ونروي في ادناه فقرات مما كتبه هذا الاديب :

« ان كثيرا من ارباب الهوى يقولون : ان كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث ، صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا (١) المصدر نفسه ايضا : ٣١ .

اسلم له في طريقه ان يسأل وان يحاول ان يفكر على الاقل حتى يتثبت من صحة نسبة ما في هذا الكتاب من الاقوال الى علي رضي الله عنه ؟ انه اذا بطل ان يكون هذا الكلام صحيح النسبة الى علي ، كان استخراج صورة علي منه ضربا من العبث » (١) .

واردف قائلا وهو يعلن فتواه العجيبة الغريبة :

« ان النظرة الاولى الى جملة ما في الكتاب من الكلام ، تقطع بان كثرته الكاثرة لم تجر على لسان علي رضي الله عنه قط ، وانه بعد الفحص الاول المدقق لا يكاد يسلم منه لعلي رضي الله عنه الا اقل من العشر ، فاذا كانت النسخة التي طبعها الشيخ محمد عبده ، تقع في نحو ٤٠٠ صفحة ، فلا يكاد يصح منها الا اقل من اربعين صفحة » (٢) .

ثم لا يورد دليلا على ذلك سوى اعتقاده بان في النهج اقوالا لا يليق صدورها عن رجل مثل علي وان ابا عبيد القاسم بن سلام لم يشرح في كتابه غريب ما في النهج باجمعه ، بل « ان حديث علي فيه ربع حديث عمر » .

ثم اراد ان يزيد القارىء ثقة بما يقول فاضاف :

« وهناك ادلة اخرى على بطلان نسبة ما في هذا الكتاب الى امير المؤمنين » (٣) .

- (١) مجلة الكاتب : ص ٣٠ / العدد ١٧٠ / السنة ١٥ مايو ١٩٧٥ م
(٢) مجلة الكاتب / المصدر السابق / ص ٣٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣١ .

بعضه الى الرضي ابي الحسن وغيره ، وهؤلاء قوم اعمت العصبية اعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح ... وانا اوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من القلط فاقول :

لا يخلو اما ان يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا ، او بعضه .

والاول باطل بالضرورة لانا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه الى امير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدثون كلهم او جلهم والمؤرخون كثيرا منه ، وليسوا من الشيعة لينسبوا الى غرض في ذلك .

والثاني يدل على ما قلناه ، لان من قد انس بالكلام والخطابة ، وشدا طرفا من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب ، لا بد ان يفرق بين الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح والافصح ، وبين الاصيل والمولد ، واذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء ، او لاثنين منهم فقط ، فلا بد ان يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين . الا ترى انا مع معرفتنا بالشعر ونقده ، لو تصفحنا ديوان ابي تمام ، فوجدناه قد كتب في اثنا عشر قصائد او قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر ابي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض ... وانت اذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا ونفسا واحدا واسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذي ليس بعض من ابعاضه مخالفا لباقي ابعاضه في الماهية ، وكالقرآن العزيز ، او له كأوسطه ، واوسطه كآخره ... فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم

ان هذا الكتاب او بعضه منحول الى امير المؤمنين عليه السلام» (١) .
ولما كان بعض الكتاب المعاصرين - وان امتهنوا استاذية الادب - يجهلون هذا الاسلوب النقدي الفاحص في دراسة النصوص الادبية لم يجد احدهم مانعا من ان يقول ما نصه :

ان « نسبة الشريف الرضي - جامع الكتاب - الى البيت العلوي ... يمكن ان تكون مدعاة للشك ودافعا الى الاتهام بالتحيز والتعصب ... وقد قال عنه بعض واصفيه : كان شاعرا مقلما فصيح النظم ضخم الالفاظ .. وكان مع هذا مترسلا كاتبا بليغا متين العبارات ، فمن اليسير على مثله اذن ان يؤلف من الكلام ما يشاكل كلام علي رضي الله عنه في جزالة الالفاظ ومتابئة السبك» (٢) .

ويروي ابن ابي الحديد عن شيخه ابي الخير الواسطي : ان ابا الخير سأل يوما استاذه ابن الخشاب بعد انتهائهما من قراءة خطبة علي المعروفة بالشقشقية : « اتقول انها منحولة ! فقال : لا والله واني لاعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق . قال : فقلت له : ان كثيرا من الناس يقولون انها من كلام الرضي رحمه الله تعالى . فقال اني للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب ! وقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ..

(١) شرح نهج البلاغة : ١٢٧/١ - ١٢٩ .
(٢) الدكتور شفيق السيد/مجلة الهلال المصرية/العدد ١٢ السنة ٨٣ ص ٩٥ - ٩٦ .

ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل ان يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط اعرفها واعرف خطوط من هو من العلماء واهل الادب قبل ان يخلق النقيب ابو احمد والد الرضي « (١) » .

ويعلق ابن ابي الحديد على هذه الخطبة نفسها فيقول :

« وقد وجدت انا كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا ابي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل ان يخلق الرضي بمدة طويلة . ووجدت ايضا كثيرا منها في كتاب ابي جعفر ابن قبة وكان من تلامذة الشيخ ابي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضي رحمه الله تعالى موجودا » (٢) .

وعندما ترجم الامام الزيدي يحيى بن حمزة العلوي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ لعلي عليه السلام قال : « واعظم كلامه ما حواه كتاب نهج البلاغة وقد تواتر نقله عنه واتفق الكل على صحته » (٣) .

ويقول الكاتب المصري المعاصر محمد عبد الغني حسن :

(١) شرح نهج البلاغة : ٢٠٥/١ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٠٦-٢٠٥/١ .

ومن التأمل في حديث ابن ابي الحديد عن نسب نهج البلاغة ونسبته نجد انه لم يكن «مغفلا» عندما اعتقد «ان ما يشرحه خطب للامام علي» كما وصفه الدكتور طه حسين على رواية الدكتور محمد الدسوقي عنه (مجلة العربي/العدد ٢٠٧ / شباط ١٩٧٦ م / ص ١٤٨) . وانما كان باحثا متعمقا وناقدا متأملا ؛ وان تميز بعيب كبير هو التجرد من الهوى والعصبية!

(٣) مشكاة الانوار : ١٧٥ .

« ولن نعيد هنا القول فيما لوى به بعض المتعنتين اشداقهم من ان نهج البلاغة هو من كلام الشريف الرضي نفسه وانه ليس للامام علي كرم الله وجهه . فتلك قضية احسن الدفاع فيها ابن ابي الحديد في القديم كما احسن الدفاع عنها في زماننا هذا الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد » (١) .

كما يقول الدكتور زكي مبارك تعليقا على شكوك المسيو ديمومبين :

« اما نحن فنتحفظ في هذه المسألة كل التحفظ لان الجاحظ يحدثنا ان خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات . ومعنى هذا ان خطب علي كانت معروفة قبل الشريف الرضي . والذين نسبوا نهج البلاغة الى الرضي يحتجون بانه وضعها لاغراض شيعية ، فلم لانقول من جانبنا بان تهمة الوضع جاءت لتأييد خصوم الحملات الشيعية » (٢) .

ومهما يكن من امر !

وعلى الرغم من ضيق هذه الصفحات وعدم اتساعها لبحث هذا الموضوع كما يستحقه من اطناب وتفصيل ، فاننا سنستعرض المسألة بالقدر المناسب لهذا المجال وحجمه ، فنوجز - بأمانة - عرض الشبهات التي يرددها الشكاك في هذا الصدد ، كما نوجز عرض الاجوبة والردود على كل ذلك ، ليصحح الحق وينكشف الزيف ويتجلى الصبح لكل ذي عينين .

(١) تلخيص البيان - المقدمة : ٩٦ .

(٢) النشر الفني : ٦٩/١ .

الشبهات :

ولم يكن معروفا او مألوفا في عصر الامام .

السابعة - ورود عبارات في النهج قد يستشف منها القارىء ادعاء علي علم الغيب . وذلك ما يجب ان يكرم مقام الامام عنه ، لانه من خصائص النبوة التي لا يصح ادعاؤها لاي شخص بعد النبي (ص) .

الثامنة - الاكثار من كلمات الزهد وذكر الموت . وهذا من نتائج التاثر بالمنهج المسيحي من جهة وبالحرارة الصوفية من جهة اخرى . وذلك كله متأخر جدا عن عصر علي .

التاسعة - رواية بعض الكتب والمراجع القديمة لبعض الجمل الواردة في النهج منسوبة الى اشخاص آخرين .

العاشر - خلو كثير من كتب اللغة والادب من الاستشهاد بما ورد في نهج البلاغة . واعراض اولئك الاعلام عن الاستشهاد بكلام الامام دليل على رفضهم لصحة انتسابه لعلي عليه السلام .

هذه هي خلاصة وجيزة وامينة لكل ما قيل من شكوك وشبهات في مسألة انتساب نهج البلاغة للامام . ونورد في ادناه جواب هذه الشبهات بالتسلسل ، عسى ان يكون فيه ما يرضي الباحث ويقنع الحائر فنقول :

الاولى - التعريض بصحابة رسول الله (ص) . وذلك ما لا يتناسب ومقام الامام وعظمة خلقه وسمو نفسه .

الثانية - تكرر لفظي « الوصي » و « الوصاية » في نهج البلاغة . وتلك لفظة لم يكن يعرفها المسلمون يومذاك ، وانما ابتدعها المبتدعون بعد ذلك التاريخ بمدة طويلة .

الثالثة - طول بعض الخطب الواردة في النهج كما في الخطبة المسماة ب « القاصعة » والاخرى المسماة ب « الاشباح » ، وكذلك طول بعض الكتب ك « العهد » المكتوب لمالك الاشرع عندما ولاه الامام امر مصر . وذلك ما يخالف الاسلوب المألوف لدى الصحابة وغيرهم من البلغاء او انذاك .

الرابعة - السجع والتنميق والصنعة اللفظية والزر كشة في التعبير . وذلك ما لم يعرفه الادب العربي الا بعد عصر الامام .

الخامسة - دقة الوصف كما في الخطب المعنية بوصف الخفاش والطاووس والنملة والجرادة . وذلك ما لم نجد له مثيلا في المأثور من كلام العرب في صدر الاسلام : وانما هو من آثار تعريب التراثين اليوناني والفارسي وتأثر العرب به ، وهو متأخر عن عصر الامام بكثير .

السادسة - استعمال الاحصاءات العددية كقوله : « الاستغفار على ستة معان » وكقوله : « الايمان على اربع دعائم » وكقوله : « الصبر على اربع شعب » . وهذا ايضا من آثار التأثر بالتعريب ،

ان البصحة - في اللغة - لا تدل على اكثر من المعاصرة والمعاصرة ، ولا علاقة لها بتوافق الراي وانسجام العقيدة بين صاحبين ابدا ، ويقول تعالى في محكم كتابه : (قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك) ويقول تعالى مخاطبا كفرة مكة : (ما بصاحبكم من جنة) والى آخر ما هنالك من شواهد قرآنية وحديثية وشعرية .

ومن هنا يظهر ان من عاصر رسول الله - ص - وعاشره وان صح اطلاق لفظ « صاحب » عليه لا يمكن ان يوصف بالايمان والتقى والورع والوثاقة لمجرد تلك المعاصرة والمعاصرة ، بل لابد من دراسة شاملة لاعمال ذلك الصحابي ليري من سلوكه وتدينه والتزامه مدى استحقاقه لصفة الوثاقة وللتزكية الحقيقية له في ضوء ذلك كله .

وجسنا دليلا على ذلك ما رواه البخاري عن النبي - ص - من قوله : « ليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دوني ، فاقول : اي زب اصحابي ، يقول : لا تدري ما اخذتوا بعدك » وفي نص آخر : « فاقول : امتي ، فيقول : لا تدري امشوا على القهقري » ، وفي نص ثالث : « فيقال : انك لا تدري ما بدلوا بعدك ، فاقول : سحقا سحقا لمن بدل بعدي » (١) .

وفي لفظ ابن ماجة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحكم او ويلكم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » (١) .

واذن . فليس كل صحابي منزها من الدم ، وليس كل صحابي محرم الثلب ، ولذلك فلا مانع - ابدا - ان يذكر علي بالدم والثلب من يستحق ذلك منهم ، خصوصا وان بعضهم قد شهر السلاح بوجهه واملن الحرب عليه وكان يود قتله وسفك دمه مهما كانت الوسائل وبأي سبيل كان .

ومن هنا نرى ان كلمات الدم هذه لم تكن بالشكل الذي « لا يليق صدورها عن رجل مثل علي في دينه وعلمه وتقواه » كما يزعم محمود محمد شاكر ، ولم تكن مما يجب انكاره « تنزيها لعلي عن الهبوط الى هذا المستوى » كما يدعي الدكتور شفيح السيد .

وهل يعتبر ذم الناكثين والقاسطين والظلمين في المارقين والمنحرفين عملا منافيا للتقوى او مخالفا لاحكام الدين !!

ولذلك ، فلم يكن من المستبعد ان يذم علي هؤلاء واشباههم ،

(١) سنن ابن ماجة : ١٣٠٠/٢

(١) صحيح البخاري : ٥٨/٩ - ٥٩ .

جواب الشبهة الثانية :

ان كلمة « الوصية » ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم عدة مرات (١) ، كما تكررت في كلام النبي - ص - مرات ايضا ، ومنها ما اعلنه في اجتماع الانذار عندما قال النبي - ص - : « فأيكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فاحجم القوم عنها جميعا فقام علي فقال انا يا نبي الله .. الخ » (٢) . كما ان هناك احاديث نبوية متعددة وصف فيها علي بـ « الوصي » او « افضل الاوصياء » او « خاتم الوصيين » روتها كتب كثيرة ومراجع شهيرة معتمدة عند المسلمين (٣) .

ونظم الشعراء هذا المعنى فى ذلك العصر ، وكان منهم رجل اللغة والنحو ابو الاسود الدؤلي الذي يقول :

احب محمدا حبا شديدا

وعباسا وحمزة والوصيا (٤)

وكان منهم حسان بن ثابت الذي يقول من جملة قصيدة يخاطب بها عليا :

- (١) سورة البقرة/١٨٢ والنساء/١١ و١٢ والمائدة/١٠٦ والى غير ذلك .
- (٢) تاريخ الطبري : ٣١٩/٢ - ٣٢١ والكامل لابن الاثير : ٤١/٢ - ٤٢ وشرح نهج البلاغة : ٢١١/١٣ .
- (٣) يراجع في معرفة هذه المصادر والوقوف على نصوصها كتاب الفدير : ٢٥٢/٢ - ٢٦٠ .
- (٤) ديوان ابي الاسود الدؤلي : ٧٣ .

وليس في ورود مثل هذا الدم في كلامه ما يحمل على الشك فسي انتساب ذلك الكلام اليه . خصوصا وانه قد اثنى على الصحابة المتزمين الاثبات ثناء جميلا بلغ حد التاوه والحنين على فراقهم ، وعلل حنينه عليهم لانهم « تلوا القرآن فاحكموه ، وتدبروا الفرض فاقاموه ، احيوا السنة واماتوا البدعة .. الخ » (١) .

وهذه هي الموضوعية المذهلة الرائعة التى سار عليها علي طيلة حياته : يقول الحق ، وينطق بالصدق ، يمدح من استحق المدح ، ويذم من استاهل الذم ، ولا تاخذه في كل ذلك لومة لائم .

(١) نهج البلاغة : ٣٤٤/١ .

جواب الشبهة الثالثة :

ان الطول والتصر في الخطبة والعهود والرسالة العا بربيع
بمناسبة الكلام ، وقد عرف العلماء البلاغة : بأنها مطابقة الكلام
لمقتضى الحال ، فلا اقتضت الحال للتطويل كان على البليغ ان
يطيل ، والا اقتضت التقصير قصر ، وعندما رأى شيخ العرب
سحبان واقبل وهو في مجلس معاوية ان القام يستدعي الاطالة قام
فخطب من حين انتهاء صلاة الظهر والى ان حل وقت العصر (١) ،
من دون ان يرى احد الحاضرين ان ذلك مخالف لبلاغة او خارج
عن اصول الكلام .

وقد اجاب على هذه الشبهة عدد من الكتاب ، منهم الدكتور
زكي مبارك الذي يقول :

« ان مسألة الإيجاز والاطناب كانت تجري في الغالب على
مقتضى الحال ، فكان الكتاب يوجز تارة ويطنب اخرى ، وفقا
لقروف التي يكتب فيها رسالته ، وكان من الخطباء من يطيل
وكان منهم من يوجز ، ولا يرجعون في ذلك الى قاعدة غير المناسبات
التي توجب الكلام ، فنقض مرة بالاطناب ونقض حيناً بالإيجاز ،
وسحبان واقبل الذي عرف بالتطويل وبانه كان يخطب احساناً
نصف يوم اثرت منه الخطب القصيرة الموجزة » .

« ورسائل علي بن ابي طالب وخطبه ووصاياه وعهوده التي
ولاه تجري على هذا النمط فهو يطيل حين يكتب وهذا يبسن فيه
ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرماه ، ويوجز حين
يكتب الى بعض خواصه في شأن معين لا يقتضى التطويل » (٢) .

(١) شرح العميون : ٨٠ .
(٢) النشر الفنى : ٥٨/١ - ٥٩ .

الست اخاه في الهدى ووصيه

واعلم منهم بالكتاب وبالسنن (١)

وتلك النعمان بن العجلان الذي يقول في انباء مقطعة له :

وصي النبي المصطفى وابن عمه

وقال فرسان الضلالة والتفرد (٢)

والى كثير من الشعراء الذين عقد ابن ابي الحديد فصلاً
خاصاً لهم ولما ورد في شعرهم من «وصاية» على ، وهم عدد كبير
من البصريين وآخرون من الصحابة والتابعين (٣) .

لما الشعراء المتأخرون عن ذلك العهد - عهد الصحابة
والتابعين - فقد تكررت في شعرهم كلمة « الوصي » معنا خاصاً
بعضي ، ولكننا لا نرى المجال متسعاً لسرد ذلك كله ، ومثله القول
في غير الشعراء من المؤرخين وكتاب التراجم وسائر المؤلفين .

والذن - فكلمة « وصي » نبوية اصيلة لا يسع المسلم ولا غير
المسلم تكران اصالتها القوية والدينية والتاريخية ، وقد استعملها
الجيل الاول من اجيال الاسلام بمعناها الخاص الذي لعليه .

(١) الوفتيات : ٥٩٨ وشرح نهج البلاغة : ٢٥/٦ .

(٢) الوفتيات ايضاً : ٥٩٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٤٣/١ - ١٥ وقال ابن ابي الحديد تعليقاً
على هذه الاشعار انه نقلها عن «ليس من النجعة ولا معدوداً من
رجالها» وان « الاشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً
ولكننا ذكرنا منها ما هنا بعض ما قبل »

جواب الشبهة الرابعة :

ان السجع والازدواج اللفظي ليس شيئا غير معروف في ذلك العصر كما يزعم الدكتور احمد امين(١) ، وحسبنا فيه انه اسلوب القرآن الكريم ، وما احرى تلميذ القرآن بالسير على منهج القرآن حتى في الاسلوب والتعبير وفن صياغة الكلام .

وقد روى المحدثون والمؤرخون سجعا وازدواجا في كلام النبي - ص - (٢) وكلمات بعض الصحابة ، ولكن دليل القرآن هو الاصل ، وقد سار الجميع على هدى هذا الكتاب وتأثروا باسلوبه . ويقول الدكتور زكي مبارك معلقا على ذلك :

« وقد رأينا التوحيدي يخترع حديث السقيفة ويرى من الفن ان ينطق الصحابة بكلام مسجوع لانه كان يعرف لغتهم كذلك» (٣) . واذن . فالكلام المسجوع كان معروفا ومألوفا يومذاك ، ولا مجال للشك في صحة نسبة مثل هذا الكلام للنبي وصحابته ومعاصريه .

جواب الشبهة الخامسة :

ان دقة الوصف لشيء ما فرع التأمل الدقيق في ذلك الشيء وكما كان التأمل اعمق وادق وكان الوصف اشمل واكمل كان معنى ذلك ان المتأمل على جانب كبير من الذكاء والمبقرية . وهؤلاء العلماء الذين عرفهم العلم في كل عصوره كان نبوغهم مستندا الى التأمل في الاشياء وفي البحث عن كنهها واعماقها المجهولة ثم وصف ما يجمله الناس من ذلك الكنه الغامض وتلك الاعماق التي لم يعرف بنو الانسان عنها شيئا .

ولا اظن ان انسانا ينكر على اي عالم من هؤلاء دقة وصفه وعمق غوره وكشفه الاسرار والاستار الخفية المجهولة .

فلماذا ينكر الدكتور احمد امين(١) واشباهه على علي ان يصف الجراد بدقة او يتحدث عن النملة بعمق !؟ .

انها مسألة فيها نظر !

وحتى « الطاووس » الذي كان وصف علي له دليلا - لدى بعض المغفلين - على كذب نسبة تلك الخطبة للامام لان المدينة لم يكن فيها طواويس ، فقد شاهده الامام بالكوفة « وكانت يومئذ تجبي اليها ثمرات كل شيء وتأتي اليها هدايا الملوك من الافاق»(٢)،

(١) فجر الاسلام : ١٤٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٧٠/٩ .

(١) فجر الاسلام : ١٤٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٢٨/١ - ١٣٠ .

(٣) النثر الفني : ٦٩/١ .

جواب الشبهة السادسة :

ان التقسيمات العددية الواردة في نهج البلاغة ليست بدعا في بابها ، والظاهر ان الدكتور احمد امين لم يكلف نفسه عناء المراجعة عندما كتب يقول عن هذه التقسيمات أنها « انما حدثت بعد ان نقلت الفلسفة اليونانية الى العربية . وبعد ان دونت العلوم » (١) .

وقد ورد في المأثور من كلام النبي - ص - : « ثلاثة لا يكاد يسلم منهن احد .. الخ » (٢) . « أوصاني ربي بتسع وأنا أوصيكم بها .. » (٣) . « اربع من النثر : شرب العسل .. الخ » (٤) .

وورد في المروي عن الخليفة ابي بكر : « ثلاث فعلتھن وددت اني تركتھن ، وثلاث تركتھن وددت اني فعلتھن ، وثلاث وددت اني سالت رسول الله - ص - عنھن . فاما الثلاث .. الخ » (٥) .

وورد في المروي عن الخليفة عمر : « النساء ثلاث .. الخ » (٦) . « الانسان لا يتعلم العلم لثلاث ولا يتركه لثلاث .. الخ » (٧) .

-
- (١) فجر الاسلام : ١٤٩ .
 - (٢) العقد الفريد : ٣٠٢/٢ .
 - (٣) العقد الفريد : ٤١٧/٢ .
 - (٤) المصدر نفسه : ٢٧٢/٦ .
 - (٥) تاريخ الطبري : ٤٣٠/٣ - ٤٣١ .
 - (٦) شرح نهج البلاغة : ٧١/١٢ .
 - (٧) المصدر نفسه : ٧١/١٢ .

وتأمل فيه بدقة ، وعينه معاينة العالم الدكي العبقرى ، وخرج من كل ذلك بما ذكره في خطبته الواردة في نهج البلاغة ، وقد اشار في خلالها الى معنى الملاحظة الفاحصة المبنية على المشاهدة العميقة والرؤية الدقيقة فقال عليه السلام : « احيلك من ذلك على معاينة » (١) .

ولعل ذنب علي في ذلك كله انه كان دقيق النظر بأكثر مما كان عليه اهل عصره ! .

وانه للذنب كبير بلا شك !!

(١) نهج البلاغة : ٣٠٦/١ - ٣٠٧ .

جواب الشبهة السابعة :

كان علي عليه السلام يخطب بالبصرة ويخبر في خطبته ببعض الملاحم « فقال له بعض اصحابه : لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب . فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيا : يا اخا كلب ، ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم علمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعا لي بان يعيه صدري » (١) .

وهذا هو قولنا في علم الائمة بالغيب .

تعلم من ذي علم ، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله ،

ويؤكد هذا المعنى ما اخبره الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بسنده عن ابن المغيرة قال : « كنت انا ويحيى بن عبدالله بن الحسن عند ابي الحسن [الامام موسى بن جعفر] عليه السلام ، فقال له يحيى : جعلت فداك انهم يزعمون انك تعلم الغيب ، فقال : سبحان الله . . . لا والله ما هي الا وراثة عن رسول الله - ص - » (٢) .

وهكذا يكشف لنا علي وولده موسى بن جعفر عليهما السلام حقيقة علم الغيب الوارد في كلام الائمة ، ولكن عباس بن محمود العقاد عندما خفي عليه هذا المعنى ولم يقف على كلام الامام في نهج البلاغة سارع الى القول : بان « النبوءات التي جاءت في نهج البلاغة

« الرجال ثلاثة . . الخ » (١) . « ثلاث خصال من لم يكن فيه لم ينفعه الايمان . . الخ » (٢) .

الى كثير من امثال ذلك مما هو مروى عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، فهل كل ذلك مما لفته الشيعة على لسانهم ؟ ام ان الشريف الرضي هو الذي وضعه ونحله هذا وذلك ؟!

واين كان الدكتور احمد امين واضرابه عن هذه

النصوص ؟!

(١) نهج البلاغة : ٢٤٥/١ - ٢٤٦ .
(٢) امالي الشيخ المفيد : ١٣ .

(١) شرح النهج ايضا : ٧٢/١٢ .
(٢) المصدر نفسه ايضا : ١١٨/١٢ .

جواب الشبهة الثامنة :

ان الظروف الاجتماعية المتطورة التي فتحت على المسلمين آفاق الارض لم تصحبها عدالة في توزيع الثروة وفي تنظيم الحياة العامة لهم بالانصاف والمساواة الاسلامية ، فحصل - نتيجة لذلك - من سوء النظام وسوء التوزيع والاثراء الفظيع لبعض التفعيين على حساب الفقر المدقع للكثرة الكاثرة من الناس ، ما حمل الامام على استعمال هذا الاسلوب الزهدي المشار اليه وعلى تكرار ذلك والتأكيد عليه ليخفف من غلواء هذه الراسمالية المعجبة والطبقية الخطيرة .

وكدليل على صحة هذا الاستنتاج نجد ان افرادا ممن اصحابه ممن ارادوا الزهد الحقيقي ولم يكونوا من اولئك الذين يخشى عليهم من ان يعميهم حب الدنيا وحب المال قد لامهم على زهدهم المتطرف كمثل قوله لعاصم بن زياد الحارثي عندما بلغه انه لبس العباءة وتخلى عن الدنيا : « يا عدي نفسه ، لقد استهام بك الخبيث ، اما رحمت اهلك وولدك . اترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها .. قال : يا امير المؤمنين ، هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك . قال : ويحك اني لست كانت . ان الله فرض على ائمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبجح [أي يهيج الالم] بالفقير فقره » (١) .

(١) نهج البلاغة : ٤٢٢/١ - ٤٢٣ .

من الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار وما اليها هي من مدخول الكلام عليه ومما اضافه النساخ الى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير او طويل « (١) .

وهذا من الاشكالات المضحكة !

وعندما يزعم ان ذكر غارات التتار في نهج البلاغة « من مدخول الكلام » و « مما اضافه النساخ » فانه لا يعلم بان في مكتبات العالم اليوم نسخا من نهج البلاغة قد كتبت قبل عصر التتار وقبل احتلال بغداد من قبلهم (٢) ، وقد ورد فيها هذا النص كما هو مثبت في نهج البلاغة المطبوع ، وكذلك النسخة التي اعتمد عليها ابن ابي الحديد وهي بخط الشريف الرضي (٣) .

فمن ادخل هذا الكلام يا ترى ؟ واي ناسخ اضافه ؟

وهل نسبة علم الغيب الى الوضاعين والناسخين اقرب الى القبول من نسبه لعلي ؟

- (١) عقرية الامام : ١٤٠ - ١٤١ .
- (٢) كالنسخة الموجودة في مكتبة السيد محمد محيط الطباطبائي في طهران وتاريخها (٥١٢ هـ) ونسخة مدرسة فاضل خان في مشهد وتاريخها (٥٤٤ هـ) ونسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد وتاريخها (٥٦٥ هـ) ونسخة مكتبة السيد اليزدي في النجف الاشراف وتاريخها (٦٣١ هـ)
- (٣) شرح نهج البلاغة : ٣/١٢ .

جواب الشبهة التاسعة :

ان رواية بضعة فقرات من نهج البلاغة منسوبة لغير علي في بعض المراجع والكتب التراثية امر لا يدل على نفي نسبة او تلفيق سند ، كيف وقد حدث مثلها في بعض ما نسب الى النبي - ص - والى عدد من الصحابة من جمل وفقرات ، كما حدث مثلها في عدد كبير من الشعر العربي القديم .

وليس معنى نسبة فقرة نبوية الى غير النبي في كتاب ما ، او نسبة بيت من الشعر الى شاعر ما وغيره ان الحديث النبوي اصبح محل شك او اشكال ، او ان ديوان الشاعر الفلاني قد اصبح مرفوض النسبة والسند .

هذا كله ، بالاضافة الى تلك الحملة الشعواء التي شنّها الحكم الاموي وعدد من الحكام العباسيين على شخص علي بفضائله ومناقبه واحاديثه وتاريخه ، مما حدا بالكثير الى كتمان ما يعلمه اولئك عن علي ، والى الاستشهاد بكلامه من دون تصريح باسمه في معظم الاحيان .

وعندما يعلن الخليفة - وهو الحاكم المطلق - براءة اللمة ممن يذكر ابا تراب بخير ، ايبقى مجال لتداول كلامه بين الناس علنا ، واذا كان الجواب بالنفي صحيحا - وهو صحيح قطعيا - فلماذا يتعجب محمود محمد شاكر من كون حديث علي (ع) عند القاسم بن سلام بمقدار ربع حديث عمر بن الخطاب (رض) ، وهل يكون ذلك دليلا على الشك في نهج البلاغة !؟

واذن . فلم يكن علي بزهده يريد ان يرسم للناس منهج سلوكهم ، وانما كان يرى في زهده قياما بواجب المركز وشؤون المسؤولية . وقد شرح هو - سلام الله عليه - ذلك بكل تفصيل في رسالته لعثمان بن حنيف واليه على البصرة ، وكان مما قال له في اثناء هذه الرسالة :

« ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القر ، ولكن هيهات ان يغلبني هوى ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ، ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع ، او ابيت مبطانا وحوالي بطون غرثى واكباد حرى ؟ . اققع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركم في مكاره الدهر ، او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش » (١) .

وعندما يصف علي المتقين لا يصفهم بالزهد والتصوف وحرمان النفس من طيبات الحياة الدنيا وانما يؤكد « ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم . سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت ، واكلوها بافضل ما اكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون . . ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابع » (٢) .

- (١) نهج البلاغة : ٧١/٢ - ٧٢ .
(٢) نهج البلاغة : ٢٧/٢ - ٢٨ .

جواب الشبهة العاشرة :

كثيرة هي المصادر التراثية المعتمدة التي تروي كلام علي وخطبه ، وقد سبق تأليفها على عهد الشريف الرضي جامع نهج البلاغة (١) .

وكان السيد عبد الزهراء الخطيب الحسيني قد أحصى (١٠٩) مصادر مؤلفة قبل سنة ٤٠٠ هـ - وهي سنة جمع الشريف للنهج - قد استشهدت بكلام الامام وخطبه ورسائله (٢) وجمعت الى الاجيال التالية تلك النصوص العلوية دون ان تبدي اي شك في ذلك او ريب او توقف .

ويكفي ان نعلم ان من جملة اولئك الرواة القدماء : المفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٨ هـ ونصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢٠٢ هـ والقاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ومحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ والسجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ والزيبر بن يكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ وللمبرد المتوفى سنة ٢٥٨ هـ وابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ والبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ والبرقي المتوفى سنة ٢٧٤ هـ او ٢٨٠ هـ واليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ وابا حنيفة الدينوري المتوفى حوالي سنة ٢٩٠ هـ وابا جعفر الصغار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ وابا العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ وابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ والطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ وابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢١ هـ .

(١) وقد روي الشريف عن بعضها مصرحاً باسمه : كالبيسان والتبيين للجاحظ والمغازي لسعيد بن يحيى والفتضب للمبرد وتاريخ الطبري .

(٢) مصادر نهج البلاغة واسانيدہ : ٢٧/١ - ٢٧ .

سنة ٣٢٨ هـ والزجاجي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ والجهشياري المتوفى سنة ٣٣١ هـ والكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وابا الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ والقالي المتوفى سنة ٣٥٦ هـ .

وعندما وقف على مؤلفات هؤلاء الاعلام وما فيها من كلام الامام عليه السلام نجد كم كان محمود شاكر بعيداً عن الموضوعية والجدية عندما قال :

« ان بين جمع هذه الاقوال وبين وفاة علي رضي الله عنه نحو اربعة قرون ، وهذه الاقوال لم يروها الرضي او اخوه المرتضى (كذا) باسناد متصل ينتهي الى علي ، فكيف نشق بهذه الرواية المرسله بلا اسناد صحيح ، مع هذه الدهور المتطاولة التي تفصل بين علي امير المؤمنين وبين جامع هذه الاقوال » .

وكذلك يتضح مقدار المجانبه عن الصواب في كلام الدكتور شفيح السيد اذ يقول :

« وكان منهج الرضي في تسجيل النصوص من العوامل التي استندوا اليها [اي المشككون] في تأييد وجهة نظرهم ، ذلك انه في الاعم الاغلب من الاحيان يورد النصوص منسوبة الى الامام علي دون توثيقها يذكر المصادر التي سبقته الى روايتها ، او الشيوخ الذين روى عنهم » .

كما يتضح ايضاً مدى الكسل في مراجعة المصادر عند الدكتور طه حسين او التسرع في اصدار الاحكام عندما يقول فيما يروي عنه الدكتور الدسوقي والمهددة عليه :

« ان في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطباً للامام علي ، وهذه يمكن قبولها وصحة نسبتها اليه » .

وكان الطبري والبلاذري هما الوحيدان ! وكان عالم برواه من كلام الامام لم يرد في مصدر آخر ولم يروه راو غيرهما !

وبعد :

فلعل من اجمل ما نختم به الحديث عن نهج البلاغة ان نقرا
فقرا مما كتبه المستشرق الفرنسي الشهير هنري كوربان عن هذا
الكتاب العظيم اذ قال :

فهرست المصادر والمراجع

- ١ - آمالي الشيخ المفيد النجف ١٣٦٧هـ
- ٢ - البلاغ/مجلة/الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية بغداد ١٣٩٥هـ
- ٣ - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان القاهرة ١٩٣٠ م
- ٤ - تاريخ الادب العربي لبروكلمان-الترجمة القاهرة «د.ت» العربية -
- ٥ - تاريخ الادب العربي / العصر الاسلامي للدكتور شوقي ضيف القاهرة ١٩٧٤ م
- ٦ - تاريخ الامم والملوك للطبري القاهرة ١٩٦٣ م
- ٧ - تاريخ الفلسفة الاسلامية لهنري كوربان - الترجمة العربية - بيروت ١٩٦٦ م
- ٨ - تلخيص البيان للشريف الرضي القاهرة ١٣٧٤هـ
- ٩ - حقائق التاويل للشريف الرضي النجف ١٣٥٥هـ
- ١٠ - ديوان ابي الاسود التولي بغداد ١٣٨٤هـ

« وتاتي اهمية هذا الكتاب في الدرجة الاولى ؛ بعد القرآن واحاديث النبي ، ليس بالنسبة للحياة الدينية في التشيع عموما وحسب ، بل بالنسبة لما في التشيع من فكر فلسفي . ويمكن اعتبار نهج البلاغة منهلا من اهم المناهل التي استقى منها المفكرون الشيعة . . . وانك لتشعر بتاثير هذا الكتاب بصورة جمة من الترابط المنطقي في الكلام ؛ ومن استنتاج النتائج السليمة ؛ وخلق بعض المصطلحات التقنية العربية التي ادخلت على اللغة الادبية والفلسفية فاضفت عليها غنى وطلاوة ، وذلك انها نشأت مستقلة عن تعريب النصوص اليونانية » (١) .

* * *

ومهما يكن من امر .
فسيظل « نهج البلاغة » تراسا مشعا يهتدي بنوره
السائرون ، وينهل منه المنتهلون ، ولن يستطيع الضباب مهما
تكاثف حجمه واتسع امتداده ان يحجب الشمس عن العيون .
وصدق الله العلي العظيم اذ يقول :

(اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في
الارض) والحمد لله رب العالمين .

(١) تاريخ الفلسفة الاسلامية : ٨٠-٨١ .

- ١١- شرح الصيون لابن نباتة القاهرة ١٣٧٧هـ
- ١٢- سنن ابن ماجة القاهرة ١٣٧٢هـ
- ١٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد القاهرة ١٣٧٨هـ
- ١٤- صحيح البخاري القاهرة «محمد علي صبيح»
- ١٥- عبقرية الامام للعقاد القاهرة ١٩٥٢ م
- ١٦- العربي/مجلة/وزارة الاعلام الكويتية الكويت ١٩٧٦ م
- ١٧- العقد الفريد لابن عبد ربه القاهرة ١٣٧٥هـ
- ١٨- الفدير للاميني النجف ١٣٦٥هـ
- ١٩- فجر الاسلام للدكتور احمد امين القاهرة ١٣٧٠هـ
- ٢٠- الكاتب/مجلة/الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥ م
- ٢١- الكامل لابن الاثير القاهرة ١٣٤٨هـ
- ٢٢- لسان الميزان لابن حجر الهند ١٣٢٩هـ
- ٢٣- المجازات النبوية للشريف الرضي القاهرة ١٣٥٦هـ
- ٢٤- مرآة الجنان لليافعي الهند ١٣٣٧هـ
- ٢٥- مشكاة الانوار ليحيى العلوي القاهرة ١٩٧٣ م
- ٢٦- مصادر نهج البلاغة للحسيني النجف ١٣٨٦هـ
- ٢٧- المعقول واللامعقول في التراث العربي بيروت «دار الشروق»
للدكتور زكي نجيب محمود
- ٢٨- الموفقيات للزبير بن بكار بغداد ١٩٧٢ م
- ٢٩- النشر الفني في القرن الرابع الهجري للدكتور زكي مبارك القاهرة ١٣٥٢هـ
- ٣٠- نهج البلاغة/تعليق الشيخ محمد عبده للقاهرة «الباهي الطبي»
- ٣١- الهلال/مجلة/دار الهلال المصرية القاهرة ١٩٧٥ م
- ٣٢- الوافي بالوفيات للكتبي القاهرة ١٩٥١ م
- ٣٣- وفيات الاعيان لابن خلكان القاهرة ١٩٤٨ م

فهرست مطالب الكتاب

٥ - ١٠	تقديم
١١ - ١٢	من هو جامع نهج البلاغة ؟
١٢	شروح نهج البلاغة
١٣ - ١٤	بلاغة علي (ع)
١٤ - ١٧	شكوك بعض الكتاب
١٧ - ٢٠	رد ابن أبي الحديد على مجمل الشكوك
٢٠ - ٢١	رد بعض المتأخرين على تلك الشكوك
٢٢ - ٢٣	تفصيل الشبهات
٢٤ - ٢٦	جواب الشبهة الاولى
٢٧ - ٢٨	جواب الشبهة الثانية
٢٩	جواب الشبهة الثالثة
٣٠	جواب الشبهة الرابعة
٣١ - ٣٢	جواب الشبهة الخامسة
٣٣ - ٣٤	جواب الشبهة السادسة
٣٥ - ٣٦	جواب الشبهة السابعة
٣٧ - ٣٨	جواب الشبهة الثامنة
٣٩	جواب الشبهة التاسعة
٤٠ - ٤١	جواب الشبهة العاشرة
٤٢	ختام البحث
٤٣ - ٤٥	فهرست المصادر والمراجع

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية - بغداد

١٢٧٨ لسنة ١٩٧٧

مطبعة أوفسيت الميناء